

الوردة السوداء

بينما كان حضرة عبد البهاء يسير بصحبة عدد من الأعباء الإيرانيين و الأمريكيين في إحدى شوارع نيويورك ، انتبه بعض الأطفال الفقراء لهيئتهم و لمشهدهم غير العادي و لملابسهم الطويلة و أعطية رؤوسهم الغربية التي لم يسبق لهم مشاهدتها . فما كان منهم إلا أن بدأوا ببتبعهم و السير خلفهم و ترديد كلمات غير لائقة و رميهم بالحجارة و العصي و السخرية منهم . فلم تتحمل السيدة - كيني - مضيفة حضرة عبد البهاء مشهد معاملته بهذه الطريقة . و في محاولة منها لإقناع الصغار بتغيير سلوكهم ، تخلفت عن الجمع قليلاً ، و راحت تخاطبهم ، و بكلمات قليلة أوضحت لهم إن هذا رجل مقدس ، و إنه أفنى حياته في سبيل سعادة البشرية ، و هو الآن في طريقه لمخاطبة جمع من الناس.

سألها كبيرهم : ألا يمكننا الذهاب معكم أيضاً ؟

أجابت : لا يمكنكم الآن ، و لكن إذا أردتم ذلك فهذا عنواني و سوف أهيء لكم فرصة للقائه الأحد القادم.

قالت السيدة ما قالته و هي متأكدة تماماً من عدم حضورهم ، و لكن الأولاد جاؤوا في اليوم المحدد و كان عددهم بين عشرين و ثلاثين طفلاً مرتدين ملابس نظيفة كما لو أنهم في طريقهم لحضور احتفال كبير . و راحوا يتسلقون سلم البيت الخارجي و أصواتهم و وقع أقدامهم تُسمع عالياً.

أما حضرته فكان بانتظارهم فاتحاً باب غرفته ، فتدافعوا للدخول دون تردد ، و ملأت حركتهم و ضوضاؤهم المكان . فرحب بهم جميعاً بالمصافحة ، أو التريبت ، و بإبتسامة و ضحكة كأنه من سنهم و جيلهم.

و كان من جملة من دخل صبي أسود اللون في الثالثة عشر من عمره ، دخل متأخراً متعثراً متردداً ، و معتقداً إنه شخص غير مرغوب به ، فهو الملون الوحيد بين الواصلين . و عندما وقع بصر حضرته عليه أشرق و جهه بإبتسامة سماوية ، و رفع يديه مرحباً بطريقة ملكوتية و صاح بصوت عالٍ " هاكم هذه الوردة السوداء " .. فجأة .. خيم سكون تام على الغرفة ، و تبدلت ملامح الولد و أشرق الوجه الأسود بالنور و السعادة و المحبة . و اختلفت نظرة الأولاد له ، فلم يخطر ببالهم إنه لطيف مثل وردة سوداء . و عندما استقروا في أماكنهم و هدأت حركتهم ، و أعطوا مضيفهم اهتماماً أكثر ، بدأ في مخاطبتهم و التحدث إليهم . أما الولد الأسود فكان يحظى بنظرات إعجاب من زملائه بين الحين و الآخر . لقد تعلموا درساً جديداً دون أن ينتبهوا .

في هذا الوقت ، وصل الخادم يحمل علبة حلوى . فأخذها حضرته و راح يوزع محتوياتها على الحاضرين بنفسه . يُدخل يده في العلبة و يمدها مملوءة لكل واحد منهم مع ابتسامة و بضع كلمات لطيفة . بعد انتهائه من التوزيع ، عاد إلى الطاولة ليضع العلبة عليها و يلتقط منها واحدة سوداء طويلة ، ثم ألقت إلى الأولاد الذين مازالوا يراقبونه باهتمام متوقعين شيئاً جديداً . اتجه حضرته بصمتٍ صوب الولد الأسود و وضع يده على كتفه ، و بنظرة حادة بشوشة و ابتسامة شملت جميع الحاضرين ، قرّبها من حده الأسود . ففهم الأولاد المعنى و لم تكن هنالك حاجة للكلام .. إن هذا الولد الأسود ، ليس وردة سوداء فحسب ، بل حلوى لذيذة أيضاً . ثم تفضل يخاطبهم : " لو دقتم الحلوى السوداء فستجدونها لذيذة . و سوف تجدون صديقكم هذا لذيذاً أيضاً ، إذا دقتم حلاوته في يوم من الأيام . "

(من كتاب : مواقف و أحداث أمرية)